

مطرانية بنى مزار  
والبهنسا

نبذات روحية هادفة  
(٩٩)

# يونان و توبة نينوى

الأب أنتونи م. كونياراتس  
المغرب : ي . م

مراجعة وتقديم  
نيافة الأنبا أثناسيوس  
أسقف بنى مزار والبهنسا

[coptic-books.blogspot.com](http://coptic-books.blogspot.com)

ليس هناك سفر آخر في العهد القديم يُظهر حبَّةَ الله بطريقه  
أعجب من الحبة التي يُظهرها هذا السفر، فهو يحمل رسالة توبة  
لجميع العصور. الله يهتم بجميع الناس ويغفر لجميع التائبين إليه سواء  
كانوا أئمًا أو يهوداً. وقصة يونان هي أروع صورة لعمل الفداء  
الإلهي، وأنبل نبذة دينية للتبرير والمناداة بالإنجيل.

### رسالة الله ليونان:

«وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمَّتَاهِي قَائِلًاً:

قُمْ اذْهَبْ إِلَى نِيُونَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ قَدْ  
صَعَدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي».

عندما أتت الكلمة الرب إلى يونان هذه المرأة، لم يطلب الرب منه  
أن يتبعه على إسرائيل مثلما فعل من قبل، ولكن أن يقوم ويمضي إلى  
نيونى، المدينة الكبيرة والرئيسية للأشوريين، والمشهورة بشُرُّ سُكَّانِها  
ووحشيتها. كان عليه أن يُشرّهم ويُحذّرُهم من دينونة الله  
الوشيكة. حقيقة أنَّ شر نيونى قد: «صَعَدَ إِلَى الرَّبِّ» تُوضَّحُ لنا  
بأجلٍ بيّان أن الله يهُمُّ ويعني بكل أمم الأرض وليس إسرائيل  
فقط، فلا يزال هو: «دِيَانٌ كُلِّ الْأَرْضِ» (تك ١٨: ٢٥).

ربما ظنَّ يونان أن مهمته ستكون خطيرة للغاية لسبب واضح،



نيافة الحبر الجليل الأنبا أثناسيوس  
أسقف بنى مزار والبهنسا

## هروب يونان:

«فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب، فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش، فدفع أجرها ونزل فيها، ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب». وبدلاً من أن يتوجه يونان شمالاً وشرقاً نحو المدينة العظيمة نينوى كما قال له الرب: «نزل إلى يافا»، ثم أبخر على متن سفينة ذاهبة إلى أقصى الغرب: «ليذهب إلى ترشيش من وجه الرب». قال الرب ليونان: «قم، اذهب إلى نينوى»، وأدرك يونان الله لن يتمكّن من أن يستمر في البقاء حيث هو موجود، فـ «قام»، ولكن ليس نحو نينوى؛ بل بدلاً من ذلك: «قام ليهرب إلى ترشيش». ولكن لماذا ترشيش بالذات؟ ظل المدرسيون لقرون طويلة يتضاربون في موضع ترشيش، ولكن صار هناك اتفاق شبه إجماع أنها مركز تجاري بعيد إنشاء الفينيقيون، ربما عند الحدّ الخارجي لرحلاتهم البحريّة. ييلو أنَّ يونان قرر أن يبعد بقدر الإمكان عن إسرائيل، فربما ينساه الله هناك، أو يرى الله أنها ليست فكرة جيدة أن يُرسل نبياً إسرائيلياً إلى نينوى بعد كل ما حدث. النقطة الأساسية طبعاً في دراستنا هنا هي أنَّ يونان حاول بكلٍّ

وهو أنَّ الأشوريين القساة والتوحشين والفاسقين لن يقبلوا نبياً إسرائيلياً يحذرهم بدینونة آتية، ولن يستقبلوه بترحاب. لم يذكر الكتاب شيئاً عمّا كان متوقعاً أن يعملوه فيه.

ولكن لم يكن يونان خائفاً من الموت كما هو واضح من تصرفه الأخير وهو على السفينة المتجهة إلى ترشيش، ولكن كان خوفه الحقيقي من أن يتوب بالفعل أهل نينوى، والله يغفو ويصفح عنهم: «آه يا رب، أليس هذا كلامي إذ كنتُ بعد في أرضي؟ لذلك بادرتُ إلى الهرب إلى ترشيش، لأنني علمتُ أنك إله رؤوف ورحيم، بطيء الغضب وكثير الرحمة ونadam على الشر» (يون 4: 2).

وربما قد خطر سؤال آخر في فِكر يونان، ألا وهو: كيف سيتفاعل شعبه بنو إسرائيل مع مثل هذه المهمة؟ فقد كان يونان معروفاً وذا حيّة في بلده وينظر إليه بكل إجلالٍ واحترام، ولا يمكن أن تظل مهمته في خفية، وهل يمكن أن ينظروا إلى هذه المهمة نظرة تدميرية أو فاسدة أو بالأحرى يغترونها خيانة عظمى لقلب نظام الحكم؟ وأيّاً كانت هذه المعطيات المعقّدة، فقد كانت التبيحة النهاية هي أنَّ يونان،نبي الله المقدس اختار القرار الخطير والمروع، وهو أن يُخالف الله ويهرب منه.

[٥] ذهابه لشعبوثني ضد فكر ومزاج شعب إسرائيل الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وبذلك سيسقط من نظر شعبه وكهنة وأنبياء شعبه.

نزل... نزل... نزل: تكرّر كلمة نزل في عدد ٣ مرتين ثم تأتي ثلاثة في آية (٥). فهو نزل إلى يافا ثم إلى السفينة ثم نزل إلى حوف السفينة. وبهذا تكررت كلمة نزل ٣ مرات، وهكذا لأنّه ترك الله وهرب منه بمحنة في نزول مستمر وبالخطية عموماً نكون في نزول مستمر. وهو نزل إلى يافا أولاً (هذه تشير لمن يترك الله وينجذب بجمال العالم لأنّ يافا تعني جمال)، ثم نزل إلى السفينة والسفينة في البحر، وماء البحر مالح، من يشرب منه يعطش (وهذه تشير لمن ينجذب بجمال العالم ويبدأ يشبع شهواته من العالم)، ثم نزل لقاع السفينة حيث نام نوماً عميقاً، ولم يوقظه هياج البحر (وهذه إشارة لمن عاش في الخطية، فقد حواسه الروحية، أي أطفأ الروح القدس فيه، ولم يعد يسمع صوت بكير الروح وإنذاراته). مثل هذا الخاطئ ماذا يفعل معه الله؟ لا حلّ سوى تحربة صعبة. وهذا ما حدث فلقد رموه في البحر ومنه إلى حوف الحوت.

الطُّرُقُ أن يبتعد جداً عن إسرائيل وعن الله، بقدر ما يستطيع، وكان هذا المكان هو ترشيش؛ أينما كانت ترشيش هذه. ومن ثمّ فقد وجد النبي الحارب واحدة من سفن ترشيش تلك القوية بعدما نزل من يافا، واشتري تذكرة ودفع الأجرة. كانت سفن ترشيش قوية ومراتب الفينيقين متينة، وبخارها الذين يبحرون بالبحر متّمسين في الملاحة في ذلك العالم القديم. كان يونان واثقاً أن السفينة التي ركبها ستأخذه بعيداً عن نبوي وعن حضرة الله غير المرجحة.

### **لماذا هرب يونان من المهمة التي كلفه بها الله؟**

[١] هناك سبب مذكور في (٤:٢) وهو أنه عرف أن الله في رحمته سيقبل توبيتهم فيصير يونان في أعينهم ككاذب.

[٢] يونان كان يتمنى هلاك أشور لأنّه ألدّ أعداء إسرائيل، وليس الصفح عنهم، لذلك خرج بعد أن وجه إنذاره لنبوى وصنع له مظلة أمام المدينة متّطرراً خراها.

[٣] ربما خاف يونان من شر الأشوريين فهم دمويون وربما قتلوا لو أنذرهم.

[٤] ذهابه لأشور عدو إسرائيل يعتبر خيانة ملك إسرائيل، وربما أتممه بالتجسس لحساب العدو.

«فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تُنْكَسِرُ.

فَخَافَ الْمَلَاحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلَهِهِ، وَطَرَحُوا الْأَمْمَعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخْفَفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلًا».

على أي حال، هبَّت ريح شديدة فجأةً على البحر، وحدث نوءٌ عظيم أعنف مما اختبره أو حازه أو قابلَه البَعَارَةُ الْمُتَمَرِّسُونَ. كان بجهيز طاقم سفينة ترشيش يأخذ مجراه الدقيق بطاقم نوتية بارع ومدرّب، ولابد أنَّهم قد تعرّضوا لعواصف شديدة من قبل، ولكن ليس بهذه، فهي مختلفة! فقد أحدهما الله ذاته. وإذا بذلوا أقصى جهدهم، مع ذلك تذرّ عليهم ضبط السفينة أمام هذه اللطمات التوالية والعنيفة والمدمرة.

فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً: كَانَ خَطَاً يُونَانَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ هَرُوبَه سِيَهَرُبُّ مِنَ اللَّهِ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ. هَذَا مَا عَبَرَ عَنْهُ دَاؤِدَ فِي مِزَاج١٣٩ وَبِالذَّاتِ الْآيَةَ (٧): «أَيْنَ أَذْهَبَ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمَنْ

وَجَهَكَ أَيْنَ أَهْرَبَ؟». وَبِسَبَبِ هَرُوبِه مِنَ اللَّهِ، وَجَهَهُ بِاللهِ جَلْبَ عَلَى نَفْسِهِ هَذِهِ الْعَوَاصِفَةِ. كَانَ يُلْقِي بَهُ أَنْ يَهْرُبَ إِلَى اللهِ، لَا أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ. هُوَ هَرُوبٌ مِنَ اللهِ، فَمَا عَادَ يَسْمَعُ صَوْتَ اللهِ الْمَهَادِيِّ الْمُنْخَفَضِ الْخَفِيفِ الَّذِي سَمِعَهُ إِبْلِيَا (أَمْل١٢٩) (فَهَذَا لَا يَسْمَعُهُ إِلَّا مِنْ كَانَ قَرِيبًا مِنَ اللهِ). وَلَأَنَّ يُونَانَ ابْتَدَأَ وَهَرُوبَه مِنَ اللهِ، فَقَدْ حَدَّثَهُ اللهُ بِلَغَةٍ أُخْرَى هِيَ لَغَةُ الضَّيْقَاتِ الْمُتَوَالِيَّةِ (رِيحٌ شَدِيدَةٌ - نَوْءٌ عَظِيمٌ - حَوْتٌ...). هَذَا مَا حَدَثَ أَيْضًا لِلَّابِنِ الْمَضَالِّ، فَحِينَ تَرَكَ أَبَاهُ جَاءَتْ عَلَيْهِ الْمَجَاعَةُ. فَإِنَّهُ حِينَ يَكُونُ الرَّبُّ غَيْرَ رَاضٍ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي أَمَانٍ. فَحِينَ صُلْبَ الْمَسِيحِ اضْطَرَبَ نَظَامُ الْكَوْنِ وَصَارَتْ هُنَاكَ ظَلْمَةٌ. عَلَيْنَا إِذَا أَنْ نَعْرُفَ سَبَبَ أَيِّ ضَيْقَةٍ تَمَرَّ بِنَا، فَقَدْ يَكُونُ وَرَاءَهَا خَطِيَّةٌ جَعَلَتْنَا نَبْتَعِدُ عَنِ اللهِ فَمَا عَدْنَا نَسْمَعُ صَوْتَ تَبْكِيَّتِهِ الْمُنْخَفَضِ.

لَمْ يَكُنْ باسْتِطَاعَةِ النَّوْتَيَّةِ فِي سَفِينَةِ يُونَانَ أَنْ يُصْلُوَا «إِلَى الرَّبِّ»، أَيْ «يَهُوهُ»، هَذَا إِلَهُ الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي الْبَحْرِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرُفُونَهُ، وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ كَانَ يُصْلِي إِلَيْهِ، إِذَا لَمْ يَكُونُوا جَمِيعَهُمْ فِي نِيقَيْنِ، وَلَكِنْهُمْ مَلَاحُونَ مَدْرَبُونَ مَاهُرُونَ مِنْ بَلَادٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ وَلَكِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ آهَمُهُمْ أَنْ تَتَدَخَّلَ وَتُئْتَنِّدَ.

أَحْذَدا فِي طَرَحِ الْأَمْمَعَةِ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخْفَفُوا عَنْهُمْ،

ولكن كان البحر يزداد اضطراباً. كان هذا القرار الذي أتخذه يُعبر عن متهى يأسهم، لأن الأحمال والأمتعة كانت هي سبب الرحمة بالدرجة الأولى للتجارة.

عندئذ اكتشفوا أن الراكب الوحيد الغريب الذي كان معهم كان يُعطَّ في نوم عميق، ولكن أن ينام في مثل هذه الظروف فهذا أمرٌ عجيب؛ ولكن على أي حال فإنهم أيقظوه وطلبوه منه أن يصل إلى إلهه، خصوصاً أنه كان من المحتمل أنهم يعرفون أن يونان يعبد إله إسرائيل، ذاك الذي يقول عنه الإسرائيّيون إله خالق السماء والأرض؛ وإن كان هذا الكلام صواباً، فيكون وبالتالي يونان هو الوحيد الذي يجب عليه أن يصل إلى، فالهؤلئه لم تستطع التدخل.

كانت تلك السفينة قوية مثل أي سفينة في تلك الأيام مبحرة إلى ترшиش، وقام البحار بطرح الأمتعة في البحر، حتى يمكن تقليل حمولة السفينة إلى أقل ما يمكن، ومع ذلك كادت السفينة أن تنفلع وتندفع وتسقط بقوّة حتى أصبحت على شفاً أن تنكسر، فخاف الملائكون أن يغرقوا.

رمي الملائكون ما كان غالياً عليهم ليشتروا حياهم الحسديّة؛ هل نقبل نحن أن نلقى ملذاتنا العالمية لنشتري حياتنا الأبديّة وهي الأهم؟!

## إيقاظ يونان:

«فجاء إليه رئيس النوتية وقال له: "مالك نائم؟ قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نملك".

وقال بعضهم لبعض: "هلْ نُلقي قُرْعاً لنعرف بسبب من هذه البليّة"، فألقوا قُرْعاً، فوُقعت الفُرقة على يونان».

من المحتمل أن يكون قبطان السفينة له معرفة بيونان أكثر من الآخرين، فشعر أنه من الملحق أن يقوم يونان ويصل إلى إلهه، إذ لم يسبق لهم أن واجهتهم عاصفة شديدة مثل هذه، ولم يكن من متغيرات في هذه الرحلة سوى هذا الرجل "يونان"، وظنَّ النوتية أنه من المحتمل أن تفعل هذه العاصفة شيئاً في يونان وهو في السفينة، وعلى أي حال أو احتمال، كان يجب عليه أن يصل إلى لا أن ينام!

### يونان يعترف:

قالوا له: "ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا؟ لأن البحر كان يزداد اضطراباً.

قال لهم: "خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم، لأنني عالم أنه بسببي هذا النوع العظيم عليكم".

ثم أخذوا يونان وطروحوه في البحر، فوقف البحر عن  
هيحانه».

لابد أن قلوب البحارة القاسية قد تأثرت جداً من رغبة يونان أن يموت من أجلهم، فعملوا كل ما في وسعهم ليرجعوا السفينة إلى البر دون أن يلتجأوا إلى هذا القرار الصعب، ولكن باعث كل محاولتهم بالفشل. كل ما استطاعوا أن يعملا هو أن يجدّفوا بكل قوّة؛ ولكن كانت قلاعهم بلا جدوى أمام هذه الريح الهائجة والعنيفة، وظلّوا مثابرين في محاولات التجذيف إلى أن ينسوا تماماً، ولم يعد هناك أمل إلا في حدوث معجزة إلهيّة تُنقذهم.

زد على ذلك، عجز الآلة التي صلوا إليها في أن تُنقذهم. أخيراً يونان التوتية عن إرساليته من: "الرب"، وقال لهم إن إلهه: "الرب (أي يهوه)" ليس فقط هو الذي أرسل الريح الشديدة، بل هو أيضاً: «الرب إله السماء، الذي صنع البحر والبر» (يون 1: 9)، وأصبح واضحاً أن البحر الذي صنعه قد صار ضدهم، ولم يُعد من حلٍ سوى إلقاء يونان في الماء كما قال لهم.

مع أنَّ خلفيات هؤلاء البحارة وثنية، إلا أنَّه كان لهم بالتأكيد إعلانٌ بداعٍ باقٍ فيهم ليعرفوا أن الجريمة تُعاقب بالموت. وفي إرسال

كيف عرف يونان أن العاصفة ستهدأ عندما يأخذونه ويطرحوه في البحر؟ وسيَّان أكانت السفينة في ذلك الوقت في مياه البحر المتوسط، أو كانت في المحيط الأطلسي، فقد كانت عواصف شديدة تحدث كثيراً في كلِّ منها، وكم من سفن، قديمة وجديدة أصبح مثواها في قاع مياها العميقية. ربما تكون الشكوك قد حامررت يونان في أن الله قد أرسل هذه العاصفة بسبب وجوده في السفينة، ولكنه كان متائِداً أنَّ الله سيقول: «ابكم، اهدأ» للأمواج الشائرة. كيف علم هذا؟

ثم قال للنوتية وهو في منتهى المدّوء أن يدفعوه للموت؟ فيما كان الواحد متى يتوقع أنَّه سيُقاوم بكل قوّته، مرّة بالتوسل وتارة بالرجاء والدموع حتى لا يتّخذوا هذا القرار ليتخلّصوا منه بهذه الطريقة.

### طرح يونان في البحر:

«ولكن الرجال جدّفوا ليرجعوا السفينة إلى البر فلم يستطعوا، لأنَّ البحر كان يزداد اضطراباً عليهم.

فصرخوا إلى الرب وقالوا: "آه يارب، لا هملك من أجل نفس هذا الرجل، ولا تجعل علينا دمًا بريئًا، لأنك يارب فعلتَ كما شئت".

ونصلح للملائكة السموات. وكما كان يومنان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا كان المسيح في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. والمسيح مات يوم الجمعة وقام فجر الأحد أي أنه قضى في القبر جزءاً من يوم الجمعة ويوم السبت كاملاً وجزءاً من يوم الأحد. ولكن هذه المدة تُحسب ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ... لماذا؟

[١] يعتبر اليهود أجزاء اليوم يوماً كاملاً في حسابهم

[٢] يُعبر اليهود عن اليوم بقولهم صباح ومساء (تك إصلاح ١ + دا:٨ + تث:٩ + ١٩:١٩ + مل:٨:١٩).

يقول النص بوضوح إنَّ «يومنان كان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ» (يون:١٧)، وحيث إنَّه لم تكن هناك وسيلة له أو للبحارة أن يقيسوا هذه المدة، فمن المفترض أن الله هو الذي أعطى هذه المعلومة ليومنان فيما بعد، ربِّما أنه بكيفية ما ستمدُّنا ب بصيرة خاصة نحو الهدف الأساسي من اختبار يومنان ومن سفريه.

### صلاة يومنان:

« حين أعيت في نفسي ذكرَ ربِّي، فجاءت إليك صلاته إلى هيكل قدسك. الذين يُراغعون أباطيل كاذبة يتربكون نعمتهم.

- ١٧ -

يومنان ليموت في البحر، فهذه تُعتبر جريمة لقتل إنسان بريء، إنسان دفع لهم أجراً السفينة برضاه، واستأمنهم أن يوصلوه إلى مرامه. لذلك فقد صلوا إلى يهوه وقالوا: «لا تجعل علينا دمًا بريئًا».

ثم قام البحارة بتغصُّب وكره شديد وألقوا يومنان في البحر، وكان لا بدًّ لهذا أن يتم.

لذلك لم يقتل يومنان نفسه، ولكن آخرين قتلوا. وبغض النظر عن الأحوال والظروف، فإن البحارة كانوا مذنبين بالقتل عندما ألقوا يومنان في عرض البحر.

طرح البحارة يومنان في البحر بكل احترام وإكرام فهذا البحر، هل نُلقي نحن عننا خطاياانا فتهدا حياتنا؟

### الحوت يبتلع يومنان

«وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعْدَّ حَوَّاً عَظِيمًا لِيَتَلَعَّ يُونَانَ. فَكَانَ يُونَانَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ».

الأمور تسير بتدبیر إلهي فها هو الحوت ينتظر يومنان في الماء ليهبه مبيتاً آمناً لا موتاً. فالله لا يريد الانتقام من يومنان بل أن يصلحه لكي يرسله من جديد. وهكذا كل تجربة يسمع بها الله لنا، هو أن ينصلح حالنا ونكمِّل عملنا الذي خلقنا الله لأجله (أف:٢)

- ١٦ -

أَمَّا أنا فبصوت الحمد أذبح لك، وأُوفي بما نذرته. للرب  
الخلاص».

عندما صلّى، تذكّر يونان كيف كان أحمقًّا عندما فكر أنّه يمكنه  
أن يهرب من رب السماوات والأرض بشقته ببحارة وثنين  
ليأخذوه بعيدًا عن إسرائيل ومن نينوى. هؤلاء الناس أيضًا كانوا:  
«يراعون أباطيل كاذبة»، أي آلهة باطلة وحقيرة، مثلما كان يعمل  
الأشوريون الذين أرسله إليهم ليكرز فيما بينهم، وعدم قدرة هذه  
الآلهة قد وضحت جيدًا عندما لم تستطع أن تستجيب لصلوات  
البحار الذين استدعوه ليوقفوا العاصفة ويهذوا البحر.

ويونان نفسه في الواقع صدّق هذه: «الأباطيل الكاذبة»، والآن  
صار حيّالًا جدًا وقدّم توبة حقيقةً. كان يونان سابقًا قد هجر الله  
الذي ليس هو الكلّي القدرة فقط، بل الكلّي الرحمة أيضًا. أظهر الله  
طبيعته الرحيمة عندما أرسله ليبشر أهل نينوى، و Herb يونان من  
رحمته وجرى بعيدًا.

وكل مؤمن مملوء من الروح القدس، وكل تائب شاعر بغفران  
الله لا يستطيع إلا أن يُعبر عن فرحة بالتسبيح بعد أن يملأه الروح  
فرحاً وتعزية.

## خروج يونان حيًّا

«أمر الرب الحوت فقدف يونان إلى البر».

درس آخر ليونان في الرحمة. فها هو الحوت يلقنه دون أن  
يؤذيه. فكيف يرفض هو خلاص أهل نينوى. البحارة أعطوه درساً  
والحوت أعطاه درساً آخر. لكن هذه الآية نبوة عن قيامة المسيح،  
فما كان ممكناً للقبر أن يظل مغلقاً عليه: «لأنك لا ترك نفسك في  
الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً» (مز ١٦: ١٠) ويونان رمز  
للمسيح.

يمكنا أن نتصوّر المشاعر والأحساس المركبة التي جاشت داخل  
يونان في ذلك الوقت: فهي مزيج من الارتياع والروعة والفرح  
والشகر والدهشة؛ ولا أحد طبعًا جاز مثل هذه الخبرة من قبل، فها  
هو الآن حيًّا وبحالة جيدة على أرضٍ جافة. ومهما كانت مشاعره  
الجيئاثة في ذلك الوقت، إلا أنها لم تكن تحمل أبداً أي مشاعر تمرُّد،  
فقد صممَ أن يُنفذ مشيئة الله.

لم يخبرنا التّنص أين أرساه الحوت، فقد يكون عاد إلى يافا من  
حيث يمكنه أن يبدأ من جديد. يذكر يوسيفوس Josephus المؤرخ  
اليهودي أنه أرسى على شاطئ للبحر الأسود. كان الله يريده أن

يذهب إلى نينوى، وربما وجَّه الله الحوت إلى أقرب مكان من نينوى، مَنْ يَعْلَمْ؟

مع أنَّ الحوت قذف يونان إلى البر، لكن سُتظل الرُّحلة إلى نينوى طويلة، وإن كُنَّا لا نعلم مِنْ أين بُدأنا، حيث لم يذكر الكتاب أين أرساه الحوت، وإن كان يُظَنَّ أَنَّه لا زالت أمامه مسافة تقارب من ٤٠٠ ميل. كما لا يخربنا النص، هل استخدم حصاناً أو جملًاً أو ما شابه ذلك في رحلته، أم سار على الأقدام؟ لا نعلم.

#### تكليف يونان ثانية:

«ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الْرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً قَائِلًاً:

«قُمْ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنَادِ هَا الْمَنَادِةِ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا».

كانت نينوى بالفعل مدينة عظيمة، لكنها كانت أيضًا مدينة شريرة أثمة، ومدينة قديمة. كان أهل نينوى أردية السُّمعة عند أعدائهم إذا ما انتصروا عليهم، فقد كانوا أقوىاء وعدوانين، يُشَهِّرُونَ وَيُنَكِّلُونَ بِمَنْ يَهْزِمُوهُمْ. وَكَتْنِيَةً لِذَلِكَ، كَانَ حَوْفَ مَرْعَبٍ يَكْتَفِي يُونَانُ، وَكَراهيَةً شديدةً تُجَيِّشُ فِي دَاخِلِهِ نَحْوَ الْأَشْوَرِيِّينَ، وَكَمْ كَانَ مَسْرَتُهُ أَنْ يَرَاهُمْ يَتَحَطَّمُونَ وَيَنْهَمُونَ وَيَنْهَرُمُونَ.

- ٢٠ -

#### إنذار يونان لنينوى:

«فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى بِحَسْبِ قَوْلِ الْرَّبِّ. أَمَّا

نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً لِللهِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَنَادَى وَقَالَ:  
«بَعْدَ أَرْبَعينَ يَوْمًا تَنْقَلِبْ نِينَوَى».

لَابِدَ أَنَّ يُونَانَ أَسْهَبَ فِي كَلَامِهِ أَكْثَرَ مَمَّا هُوَ مَذْكُورُ فِي كِتَابِهِ،  
وَلَكِنَّ الْمَوْضِعَ الْأَسَاسِيَّ كَانَ: «بَعْدَ أَرْبَعينَ يَوْمًا تَنْقَلِبْ نِينَوَى».

وَالغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّهُمْ أَنْصَتوُهُ لِهِ! فَرَبِّمَا عَنْدَ وَصْولِ يُونَانَ إِلَى  
نِينَوَى كَانَتِ الْأَخْبَارُ قَدْ تَنَاقَّلَتْ وَتَبَعَّرَتْ بِمَخْصُوصِ الْأَحْدَاثِ  
الْغَرِيبَةِ الَّتِي جَرَتْ لَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى تَرْشِيشِ، مَمَّا جَعَلَهُمْ يَتَحَقَّقُونَ  
فَعَلَّا أَنَّ يُونَانَ شَخْصٌ مُرْسَلٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ. كَمَا أَنَّ شَكْلَهُ الْخَارِجيُّ  
وَهُيَّئَتُهُ بَدَأَتْ كَمَا لَوْ كَانَتْ غَيْرَ أَرْضِيَّةً، مِنْ جَرَاءِ رَحْلَتِهِ فِي بَطْنِ  
الْحَوْتِ، مَمَّا جَعَلَ النَّاسَ يَرْتَبِعُونَ مِنْهُ وَهُمْ يَتَابِعُونَ مَنَادِاتهِ، وَكَانُوا  
خَائِفِينَ مِنْ أَنْ يَتَدَخَّلُوا فِي حَدِيثِهِ، وَكَمَا قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: «كَانَ  
يُونَانَ آيَةً لِأَهْلِ نِينَوَى» (لو ١١: ٣٠).

بِلا شُكٍّ، نَادَى يُونَانَ بِكَرازَتِهِ عَنِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ الَّذِي  
سِيَلِحُّ نِينَوَى بِكُلِّ اقْتِنَاعٍ، حِيثُ إِنَّ أَشْوَرَ كَانَتْ تُهَدَّدُ إِسْرَائِيلَ

جداً، وكان يونان طبعاً يتمنى هلاكها ودمارها. لم يكن يخطر على بال يونان أله من الممكن أن توب نينوى الأثيمة، وأن الله سيمهل عقابها إلى حوالي ١٠٠ سنة قادمة.

### توبة أهل نينوى:

«فَامْنَأْ أَهْلَ نِينُوِيْ بِاللَّهِ وَنَادُوا بِصُومٍ وَلِبْسَوْ مَسْوَحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ.

وَبَلَغَ الْأَمْرُ مُلْكَ نِينُوِيْ، فَقَامَ عَنْ كَرْسِيهِ وَخَلَعَ رِداءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بِمَسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرِّمَادِ.

وَنَوْدِيَ وَقِيلَ فِي نِينُوِيْ عَنْ أَمْرِ الْمُلْكِ وَعَظَمَائِهِ قَائِلًا: «لَا تُذْقِ النَّاسُ وَلَا الْبَهَائِمُ وَلَا الْبَقَرُ وَلَا الْغَنَمُ شَيْئًا، لَا تَرْعَ وَلَا تَشْرَبْ مَاءً.

وَلِيَسْغُطَ مَسْوَحَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللَّهِ بِشَدَّةِهِ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيَّةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ،

لَعْنَ اللَّهِ يَعُودُ وَيَنْدِمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُّوْ غَضَبِهِ فَلَا هَلْكَ».

المسوح: هي قماش غليظ خشن منسوج من شعر الماعز أو وبر الجمال وكان ليس المسوح علامه للحزن، وهنا هو علامه حزن

على الخطية، أي عالمة توبتهم. حقاً كانت توبه عظيمة، فقد آمنت نينوى؛ أما إسرائيل فقاوموا غير مصدقين. هم قدّموا توبه حقيقة عملية بصوم ومسوح، واشترك فيها الكل الكبار والصغار حتى البهائم. مع أن يونان لم يعط كلمة رجاء واحدة. ولم يكلّهم عن محبة الله وترفقه ولا علمهم شيئاً عن التوبة.

الأمر لا يصدق أبداً ولا يعقل، ولكنَّه حدث! فبدلاً من رفض يونان ومحاولة قتله، كشخص يتبناً بما سيحدث، آمن أهل نينوى برسالته وعادوا إلى رب، الإله الحقيقي! توجد ابعاثات ونضالات روحية دينية متعددة في التاريخ، ولكن ليست بهذه أبداً، من الملك الذي على العرش إلى أصغر فلاح، الجميع: «آمنوا بالله».

ما مدى العمق والأصلحة التي كانت عليها توبة أهل نينوى من خلال مناداة يونان، فهذا أمر يحتاج طبعاً إلى طرح سؤال. لابد أن توبتهم كانت في الأول أصيلة وسريعة، قادها الملك والشُّرُفاء، والملك الذي وإن لم يكن قد تقابل شخصياً مع يونان، إلا أن ما سمعه عن كرازته كان كافياً ليصدر مرسوماً يقول فيه: «يرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم... وليسقط

بسوح الناس والبهائم... ويصرخوا إلى الله بشدة».

يا له من مشهد وصوت عجيب في نينوى! تصوّر معي كل المواطنين حتى البهائم وهم لا يلبسون المسوح، وهم يصرخون بعلوٌ صوتهم إلى إله يونان يسألوه أن ينقذ وأن يغفو عن المدينة.

الله سمع وسامح وعفا، ولكنّهم لم يكونوا قد عرفوا كثيراً عنه وعن خلاصه من مجرد تحذير يونان لهم عن الدينونة، وبالتالي كيد لم يكونوا هم من الدخلاء إلى اليهودية، لذلك لا نعرف الكثير عن العادة التي قدّموها ليهوده.

#### قبول الله توبتهم:

«فلما رأى الله أعمالهم أثّهم رجعوا عن طريقهم الرّديئة، ندم الله على الشّرّ الذي تكلّم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه».

ندم الله هو تعبر بحسب المفهوم البشري لا يعني أنَّ الله يُغيّر رأيه ويندم، بل أنَّ الإنسان هو الذي يُغيّر وضعه بالنسبة لله فيصير الحكم بالنسبة له مختلفاً، فعندما يُعاند الإنسان يسقط تحت التأديب، وإذا يرتدُّ عن شرّه ويرجع إلى الله، يجد الله فاتحًا أحضانه.

وَعَدَ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ إِنْ تَابَ النَّاسُ حَقًا وَآمْنَوَا. أَيُّ أَنْهُ يَامْكَانُ اللَّهُ أَنْ يَنْدَمَ، أَيْ يَغْفُرَ لَا يُنْفَذُ وَعْدُهُ بِالْدِينُونَةِ إِذَا تَابَ النَّاسُ. لَذِلِكَ، عِنْدَمَا تَابَ جَمِيعُ أَهْلِ نَبِيِّنَا بِاللَّهِ، أَكْمَلَ اللَّهُ وَعْدَهُ الْمُتَضْمِنَ أَنْ يَنْدَمَ (وَالْكَلْمَةُ يَتُوبُ أَوْ يَنْدَمَ *repent* مَعْنَاهَا الْأَسَاسِيُّ: "تَغْيِيرُ الْذَّهَنِ") عَنِ الدَّمَارِ الَّذِي كَانَ مُخْطَطًا أَنْ يَجْرِيَهُ عَلَيْهِمْ.

#### يونان يغتم:

«فَعَمَّ ذَلِكَ يَوْنَانُ غَمًا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ.

وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: "آهُ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هَذَا كَلَامِي إِذْ كَنْتُ بَعْدَ فِي أَرْضِي؟ لَذِلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرْبِ إِلَى تَرْشِيشٍ، لَأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلَهُ رَؤُوفٍ وَرَحِيمٍ بِطَيْءِ الْفَضْبِ وَكَثِيرِ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ".

الله رحم نينوى ولم يهلكها فاغتم يونان غمًا شديداً، فهو غار لكرامته لغلاً يُحسّب نبياً كاذباً، هو تبأّ بانقلاب المدينة وها هي قد نجحت. وصلّى يونان هنا ولكن شّتان بين صلاته هنا وصلاته وهو في جوف الحوت، فهو هنا بَرَّرَ نفسه في هروبـه من الله أولاً حين أرسـله، بعد أن كان قد دان نفسه أولاً في بطن الحوت حين قال: «الذين يراعون أباطيل كاذبة

هذه الفكرة، ولم يكن هذا، بالنسبة له، شيئاً طيباً على الإطلاق.  
لذلك ترجى يونان الرب أن يموت بدلاً من هذا، موتاً لا رجعة  
فيه، إلا أن الله كان يريد أن يكمل يونان رسالته النبوية على  
الأرض، ولذلك، ففي توبيخ خفيف جياش بالمحبة والحنان قال له:  
«هل اغتسلت بالصواب؟». كان يجب على يونان أن يتهمل فرحاً  
بزيادة لاستجابة أهل نينوى المدهش!

#### درس اليقطينة:

«وخرج يونان من المدينة وجلس شرقيَّ المدينة، وصنع  
لنفسه هناك مظلةً وجلس تحتها في الظل، حتى يري ماذا  
يحدث في المدينة.

فأعدَّ الربُّ إلهَ يقطينة فارتقت فوق يونان لتكون ظلاً  
على رأسه، لكي يخلصه من غمّه. ففرح يونان من أجل  
اليقطينة فرحاً عظيماً.  
ثم أعدَّ الله دودة عند طلوع الفجر في الغد، فضررت  
اليقطينة فيست».

كان يونان لا يزال حسب الظاهر وكما يبدو، آمالاً أن ينفّذ الله  
توعدُه السابق ليقلب نينوى في ٤٠ يوماً (يونا: ٣-٤)، لذلك قرر أن  
يتناول ويري. ربّما تكون توبية هذه المدينة العظيمة السريعة، ليست

يتركون نعمتهم»، وهو هنا يلوم الله أنه رؤوف ورحيم وبطيء  
الغضب، مع أنه لو كان الله غير ذلك لكان قد أهلكه هو  
نفسه فوراً. وبعدها قدّم يونان صلاته الخاطئة: «يا رب خذ  
نفسي»، ولو فعل الله ذلك هلك يونان وخلصت نينوى،  
ولكن الله المحنون لا يتركه لضيقه نفسه بل يدخل معه في حوار  
ويعطيه درساً باليقطينة حتى يتصالح معه.

#### حوار الله مع يونان:

«فالآن يا رب، خذ نفسِي مني، لأنَّ موتي خيرٌ من حياني.  
قالَ الربُّ: «هل اغتسلت بالصواب؟».

كان يونان متاكداً أنْ حياته في يد الله، فهو الذي حلّ صنه من  
الغرق ومن بطん الحوت ومن المهاوية، وربما من غضب الأشوريين  
الشديد عندما أخذ في مناداته بمحمية دينونة الله.

أراد يونان أن يُدمِّرَ الله هؤلاء القوم الأشرار القساة المقددين  
الانتقاميين، ولم تكن لديه أية فكرة أنَّهم سيتوبون حقيقة  
ويتحوّلون للرب نتيجة كرازته، أمّا الآن وقد حدث هذا فقد بدا  
أنَّ الله سيصفح عنهم بعد كلِّ هذا، وتصير حالمهم وهم في يد الله  
أفضل في المستقبل عن أمته الحاجدة والفاشدة، ولكنَّه لم يقبل

سريعاً ويتلف سريعاً، ولكن نكرر مرة أخرى أن الدودة هنا عملها معجزي، لئن هذا العمل بهذه السرعة! كان الله يريد أن يوجه درساً خاصاً إلى نبيه يونان.

### يونان يتمنى الموت لنفسه:

«وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللَّهَ أَعْدَّ رِيحًا شَرِقِيًّا حَارًّا، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبَّلَ، فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ: "مَوْتٌ خَيْرٌ مِّنْ حَيَاةٍ".

فقال الله ليونان: "هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة؟" فقال: "اغتظم بالصواب حتى الموت".

تعرّض يونان مرّة أخرى للشمس المحرقة في الصحراء عندما احتفى فجأة الظل الناتج من أوراق الخروعة التي ذبلت، وهذا الأمر تفاقم وصار إلى أسوأ بسبب الريح الشرقية الحارة التي أعدّها الله. وكانت الحرارة المأبة والعاصفة الآتية من الصحراء غير متحملة. لم يستخدم الكتاب المقدس الصفة: "حارّة — متقدّة — حارقة vehement" سوى مرّة واحدة، ويبدو أنها تشير إلى الريح الشرقية المخيفة الحارقة شديدة الحرارة. غالباً ما أصيب يونان بضرر الشمس وصار في حالة إغماء.

إلا انفعالاً عاطفياً سطحيّاً؛ على أي حال الى يوماً لم تنتهِ، فعليه أن يتضرر على الأقل هذه المدة.

في انتظار ما يحدث، لم يرغب يونان طبعاً أن يظل في المدينة، لذلك قرر أن يعمل لنفسه نوعاً من المظلة خارج المدينة، فشيد لنفسه مظلة مناسبة قوية ليتنظر فيها. الكلمة العربية المترجمة: "مظلة booth-tabernacle" تُبيّن أن يونان أقامها وجعلها معدّة ليمكث فيها عدة أيام.

ويبدو أنّ ما أعدّه لنفسه كان غير جيد، فأعدّ له الله المتعطف الشّفوق يقطينة تمت بسرعة لتمدّه بمزيد من الظل. وبدلًا من أن يُعاقب الله يونان بسبب موقفه العدائى تجاه نينوى، فقد أراد أن يعلّمه درساً عن سبب عمله هذا. أحبّ الله يونان وأراد أن يظل في استخدام هذا النبي، لأنّ إسرائيل كانت في حاجة ماسّة إلى رسالته. كان على يونان أن ينال معرفة جديدة، وفهمًا أعمق لمحبة الله ونعمته، وأفكاره وخططه، ليس لإسرائيل فقط، بل لكلّ الأمم والشعوب.

رأى الله فرحة يونان وتقديره للظل الذي أحدهته اليقطينة، ورأى أن يستمرّ هذا ليوم واحد، لأنّه أرسل دودة خاصة لتأكل جذورها وتجعلها تذبل في يوم واحد. من المعروف أن نبات الخروع ينمو

يوجد: «فيها أكثر من الثني عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شماهم»، ربّما المقصود بهم: الأطفال الصغار، ولكن هل يكون يونان مسروراً أن يراهم يهلكون مع الأئمة الكبار الأشرار؟ نختتم دراستنا لهذا السفر لنقول إنَّ هذا السفر هو سفر حنان الله، ففيه نرى:

١. حنان الله على شعب نينوى فهو لا يريد موت الخطأ بل أن يرجع ويجيأ (حز ١٨: ٢٣).
  ٢. حنان الله مع يونان فإذا أخطأه يونان أعاده الله بتجربة شديدة (تأديب)، ومن يُحبه الله يؤدبه (عب ٦: ١٢).
  ٣. في أثناء التجربة يحيط الله يونان بالتعزيات (راجع إصلاح .).
  ٤. حينما تذمّر يونان على الله إذسامح نينوى وكان يتمنّى هلاكه، يعامله الله بمنتهي الحنان ويعطيه درساً باليقطينة.
  ٥. بل حنان الله يمتد حتى إلى البهائم.
- أفلأ أشدق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد بها ١٢٠٠٠ إنسان وهائم كثيرة (يون ٤: ١١).
- الرب يقبل توبتنا كما قبل توبة أهل نينوى في القلم.

طلب يونان لنفسه الموت مرّة ثانية، وعبر عن هذا للرب قوله: «موي خير من حياني»، وشعر بالماراة وخيبة الأمل من ذبول شحرة الخروع التي لا زرعها ولا رباها، والتي ابتهج بها يوماً، وهذا هو الآن يلوم الله بسبب جفافها المفاجئ.

### توبية الرب ليونان:

«قال الرب: أنت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا رأيتها، التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أفلأ أشدق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من الثني عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شماهم، وهائم كثيرة؟»

كان يونان شخصاً شجاعاً، نبياً حقيقياً، أحبَ الله وشعب الله، إلا أنه كان يتوق إلى هلاك نينوى، دون النظر إلى آلاف الناس: الرجال والنساء، بل والأطفال الأبراء الذين يعيشون فيها.

كان يونان غاضباً وثائراً على ظلّ الخروع الذي اخفى، وعاتباً على الله لأجل التعب الذي أصابه، طالباً منه أن يأخذ حياته. مما لا شكّ فيه، كان يونان محقاً في خوفه من الأشوريين السفاحين، ولكن لم يكونوا كلُّهم متعدّراً إصلاحهم أو تغييرهم، فقد كان

## صلادة

يا رب، نشكرك لأنك إله محب وغفور،  
طويل الروح وكثير الرّحمة،  
لا تشاء موت الخاطئ بل رجوعه في حيَا.

يا رب، أرسل علينا جيئاً روح توبه حقيقة،  
لنسوّب عن خطایانا وأعمالنا الـردیة،  
كما تاب أهل نینوی فصفرتَ عنهم.

نـحن نطلب رحـمتك وغـفرانـك وعـفوـك الإلهـي يا رب،  
عن جـمـيع الشـرـور الـقـى اـرـتكـبـناـها،  
في حقّ أـبـوـتـك ومحـبـتـك ووصـيـتـك.

كـلـنـا خـطاـة أـمـامـك،  
وقد تعدـيـنا وصـايـاـك وشـرـائـعـك،  
وـلـا نـسـتـطـيـع أـنـبـرـى أـنـفـسـنـا مـنـ الذـنـوبـ والـخـطـایـاـ الـتـي  
فـعـلـنـاـهـاـ أـمـامـك،  
بـعـرـفـةـ أـوـ بـغـيرـ مـعـرـفـةـ.

ارـجـنـا يا رب، واصـفـحـ عـنـاـ،  
لـأـجلـ الدـمـ المـسـفـوكـ لـأـجلـ جـمـيعـ الـخـطـاةـ.  
لـكـ كـلـ الـمـجـدـ إـلـىـ الـأـبـدـ. آـمـينـ